أما بخصوص التحقيق فقد اعتمدنا مثلاً في وقفتنا هذه على النسخ المخطوطة التي وجدناها في بعض الخزائن والمكتبات التواتية، وأغلب تلك النصوص الشعرية لم نجد منها إلا نسخةً واحدةً، رغم أننا بذلنا أقصى جهودنا للبحث عن نُسخٍ أخرى لمقارنتها بها، سواء داخل الوطن أو خارجه.

وقد عثرنا على قصائد الشاعر سيدي محمد بن المبروك في مكتبة عائلة جعفري بزاوية سيدي حيدة، وهي منسوخة من ديوان الشاعر، في مخطوط مقياسه 16×23 س، وقد كتب في مقدمته: « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد، وللفقيه العالم العلامة والبحر الفهامة البليغ سيدي محمد بن المبروك البداوي ثم الهداجي رحمه الله تعالى ورضي عنه في مدحه للمصطفى:

صَلَوَاتُ الإِلَهَ تَتْرَى على من اسْمُهُ أحمد البشير النذير [1]

وكتب في آخر المخطوط:« تَمَّتْ هذه القصائد المباركة؛ وكان الفراغ من كتابتها يوم الجمعة منتصف النهار يوم 14 من شهر أكتوبر 1988، الموافق لـ 03 من شهر ربيع الأول سنة 1409هـ، على يد كاتبها العبد الضعيف الراجي رحمة مولاه عبد الرحمان بن عبد السلام بن العربي بودة بني وازل»[2].

وقصائد الشاعر كانت كلها فريدة ما عدا قصيدة: "ارتجي فضل من دنا"، حيث وجدنا منها ثلاثة نسخ، نسختان في ديوان الشاعر سابق الذكر، كتبت للمرة الأولى ابتداء من الورقة 05؛ وعدد أبياتها 58، وأعيد كتابة القصيدة ابتداء من الورقة 58، وكانت عدد أبياتها 121 بيتاً، أما النسخة الثالثة فعثرنا عليها في مكتبة ابن الوليد الوليد بقصر باعبد الله ولاية أدرار، وعدد أبياتها 117 بيتاً، وقد كتبت بخط مغربي مقروء، ولأنها مصورة من مخطوط آخر فإن مسطرتها غير واضحة، ولكن نقدرها بـ :22×15س، وحرصنا على المقارنة بين النسخ الثلاثة لمعرفة الاختلافات بينها.

أما قصائد الشاعر سيدي محمد إيداوعلي، فجاءت أيضاً كلها فريدة . حسب ما توصلنا إليه أثناء بحثنا هذا . وإننا تحصلنا على بعضها من عند السيد إيداوعلي عبد الوهاب، وهو أحد أحفاد الشاعر، وقد كتبت في مخطوط مسطرته 22×18 س، وخطها عادي، مضبوط بالشكل.

وعثرنا على قصيدتين للشاعر سيدي محمد إيداوعلي؛ بمكتبة ابن الوليد الوليد، الأولى هي قصيدة "ركاب أحبتي" وردت في نتفة من مخطوط مسطرته 14×19 س، وخطها مغربي واضح، وعدد أبياتها 50 بيتاً.

والقصيدة الثانية هي قصيدة "زُرْ من هويتَ"، وهي أيضاً نتفة من مخطوط مسطرته 21×26 س، مكتوبة بخط مغربي واضح ،عدد أبياتها 29 بيتاً.

وبخصوص قصيدة الشاعر محمد عبد القادر الفلاني، فقد اطلعنا عليها في ديوان الشاعر بمكتبة الشيخ باي بلعالم بآولف ولاية أدرار، وقد كتبت بخط مقروء. وبالمكتبة نفسها اطلعنا على ديوان الشاعر السيد البكري بن عبد الرحمن، وقد كتب أيضاً بخط واضحٍ ومقروءٍ.

أما قصائد الشاعر الزروق فقد وجدناها في مكتبة ابن الوليد الوليد، وهي أيضاً نتفة من مخطوط مسطرته 17×22 س مكتوبٌ بخطٍّ عاديٍّ؛ على هامشه بعض التعليقات على القصائد.

أولا: سَيِّدي مُحمَّدْ بن المَبْرُوك البُودَوِيّ: هو محمد بن المبروك بن سيد أحمد (مُولْ) أَبُو سْبَعْ حَجَّاتْ؛ محمد بن عبد الله محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن إسماعيل بن إدريس بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد سنة 1080 هـ وعاش في قصر والده وجده سيدي أحمد الملقب أبو سْبَعْ حَجَّاتْ؛ بزاوية سيدي حيده من قصور مقاطعة بوده[3]، بولاية أدرار حالياً، بالجنوب الغربي من الجزائر.

يقول عنه عبد الرحمان بن بَعُومَرْ التِّنِلاَنِي:«كان رحمه الله عالماً ورعاً زاهداً أحد الحفاظ وأخذ عن سيدي محمد الوَنْقَالِي وعن الشيخ سِيدِي اَعْمَرْ بن عبد القادر وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عُمَر، فصار عن علو محله في العلم والأدب مع جلالة قدره في المحاسن وتفرده في الغايات في المدح، ولولا خوف الإطالة لأوردت من خبره طرفاً كبيراً وليس الخبر كالعيان»[4].

وهذا يبين لنا المكانة الكبيرة التي كان يحتلها هذا العالم في أوساط العلماء في عصره؛ ورغبته الشديدة في طلب العلم وأخذه عن كبار العلماء في عصره.

ويُضيف المؤلف قائلا في معرض حديثه عن سيدي محمد بن عبد الله؛ المعروف بالوَنْقَالِي:«ولما سَمع خبره سيدي محمد بن أبي زيان القَنْدْسِي رحمه الله بعث أولاده إلى كرزاز وسمعوا بوفاته ورجعوا، ولما ورد عليه المرابط سيدي محمد بن المبروك ذكره لكون المرابط سيدي محمد بن أبي زيان بعث إليه كتابا ليختبر الشيخ المذكور فيما كان يسمع عليه من الكرامات وخَتْمِ المختصر[5] على عشرة أيام، فلما ورد عليه سيدي محمد بن المبروك يخبره بختمه للطلبة المختصر في عشرة أيام قال الشيخ الوَنْقَالِي لسيدي محمد بن المبروك: نُضيِّفك بختم المختصر في خمسة أيام ثم ختمه فيها» [6].

وقد تتلمذ كذلك على يدي سيدي عبد الرحمن بن عُمَر التِّنِلاَنِي، «ورثاه بقصيدة لما توفي ليلة الأحد الأخير من صفر عام 1189هـ وعمره نيف وسبعون سنة. وقصيدته مطلعها:

ألا يا مصر قد ازددت فخرا حبر حل مقبرة المنوفي[7]

وكل أولئك العلماء كانت لهم أدوار بارزة في حياة الشاعر سيدي محمد بن المبروك الذي نهل من علومهم وتخلق بأخلاقهم.

وهناك عديد العلماء الذين عاصرهم الشاعر في القرن الذي عاش فيه وهو القرن 11هـ؛ القرن الذهبي في الحياة العلمية التواتية. ومن بين أولئك العلماء سيدي محمد بن عبد الله الوَنْقَالِي، والولي الصالح مولاي عبد المالك الرَّقَّانِي، والشيخ عبد الرحمان بن بَعُومَرْ التِّنِلاَنِي، والشيخ سيدي عُومَرْ بن عبد القادر التِّنِلاَنِي، وسيدي محمد إِيْدَاوَعْلِي، وسيدي مُحَمَّد بَنْ أَبَّ المزَّمَّرِي الذي «ولد في العقد الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة» [8] وأيضاً سيدي البكري بن عبد الكريم التمنطيطي المولود يوم الرابع عشر من رمضان عام 1042هـ والمتوفى قبل الزوال من يوم الأحد الثاني من ذي القعدة الحرام 1133هـ وغيرهم كثير، وكانوا كلهم علماء وفقهاء وشعراء، لهم عديد الكتب في مجالات مختلفة أثْرت الساحة العلمية بتوات؛ وجعلت من القرن 11هـ في منطقة توات عصراً ذهبياً.

خَلَّفَ الشيخ سيدي محمد بن المبروك عديد الكتب في المسائل الفقهية والأنساب[9] ضاعت كلها ولم نعثر على أيٍّ منها. وترك الشاعر كذلك ديوانين شعريين، أحدهما فصيح والآخر شعبي (ملحون)، وقد تناولنا شعره الشعبي في دراستنا الموسومة بـ " الشعر الشعبي الديني في منطقة توات؛ مع قراءة في شعر الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي "، أما شعره الفصيح فنتناوله في دراستنا هذه.

ونشير إلى أن أول قصيدة أبدعها الشاعر حسب ما روى لنا السيد دَفَّه سالم[10] هي قصيدة " صَلَوَاتُ الإِلَه تَتْرَى " ومطلعها:

صَلَوَاتُ الإِلَهِ تَتْرَى عَلَى مَنِ ... اِسْمُهُ أَحْمَدُ البَشِيرُ النَّذِيرُ[11]

وَسَلاَمٌ ما هَبّتِ الرِّيحُ لَيْلاً ... وَنَهَاراً وَمَا يفُوحُ عَبِيرُ

توفي الشاعر حوالي سنة 1195هـ في القرن الثاني عشر (12هـ) الهجري، توفي عن عمر يناهز القرن وخمسة عشر(15) سنة، وقد دُفن في القبر الذي حفره بيديه، ونحسب أن هذا ما كان يقصده؛ نَعْنِي من حفره لقبره بنفسه حين يقول: [12]

ألا يَا قَوْمَنَا قَدْ بِتُّ أمْس ... أُكَابِدُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ رَمْسِي

هو المِعْرَاضُ للإنسان مَهْمَ ... يَمُتْ يُلقى بسجنٍ أيِّ حَبْس

إلى قوله متحدثا عن قبره:

فذَكَّرَني بما أمضي إليه ... وبالجُرم الذي جَرمته نفسي

ويَذكر لنا السيد دَفَّه سالم أن الشاعر لما توفي ازدحم الناس على حمل نعشه وحضر دفنه الآلاف من المشيعين الذين كان الشاعر يحتل مكانة كبيرة في قلوبهم، فلقد ملأ الدنيا وشغل الناس بعلمه وأخلاقه. وقد رثاه أحد الشعراء بقصيدة يقول فيها:[13]

قد حَكَمَ الله بأمرٍ فُرضا ولا مُعقِّب لحكُمه مَضَا
حق علينا حمده لكن أرا دمع الورا من أجله قد نبضا
وأظلمَتْ منه علينا أرضُنا وفوقنا رعد وبرق ومضا
يوم أتى الضريح يصرخ بنا ألا فإن حبر بودة قَضَا
وكل قائلٍ يقول مُعلنا يا أسفا على ابن مبروك الرِّضَا
ومن لمبتغي العلاء والعلا بعده في العلم ومنه قد خضا
ا حدَّث الناس سواه مثلما حدَّثَهم به وما إن رفضا
ولذَّ ذكره مسامع الورى وخاب من تراه عنه نَهَضَا
وعمَّ نفعُه ُ البلاد كلَّها ودرن القلوب منه رحضا
ومن لأرجاء الصحاري بعده في البرين والصبر لمن له انْتَضَا
شيمته العفو ويكثر به إذا اللئيم قد عظاه وغضا
يصفح عن كل سيّءٍ ويري نهج الهدى لكل سالك الفضا
أرّخ عام نعيه ينفد إن سار لمولاه ونعم من مَضَا
في حيد من ثامن الأشهر له قل رحمة الله عليه تُرتضا
مع السلام تقتفيه أبدا لا ينقضي الذكر لها بما انقضا

تُعتبر هذه القصيدة شهادة أخرى تبين المكانة التي كان يحظى بها الشاعر الشيخ سيدي محمد بن المبروك في توات قاطبة، وإصابته في العلم بسهم ثاقب، وأخلاقه العالية التي تبين مما مضى عُلُوَّ كعبه فيها.

أما الطريقة الصوفية التي كان شاعرنا يسير على نهجها فهي الطريقة القادرية، وهي طريقة عائلته الجعفرية؛ ومشائخه الذين ذكر أسماءهم ضمن ما تسمى محلياً بـ "السَّلْسَلَة"، وذلك في القصيدة الشعبية التي كتبها يخاطب فيها شيخه مولاي عبد المالك الرقاني، والتي يقول في مطلعها:[14].

لله اقْبَلْ مَنْ جَاكْ يَا مُولاَيْ عَبْدْ المِالَكْ
للهْ اقْبَلْ مَنْ جَاكْ يَا وَلِيّْ الله مَالَكْ

وقد جَمَعْنَا قصائد هذا الشاعر وحققناها وهي جاهزة للنشر.

ثانياً: سَيِّدي مُحَمَّدْ إِيدَاوَعْلِي:

هو الشيخ سَيِّدي مُحَمَّد بَنْ امْحَمَّدْ أَحْمَد بَكُّو، إِيدَاوَعْلِي نَسَباً؛ الشنقيطي نشأةً، عاش ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين[15]. نشأ في بلاد شنقيط (موريتانيا)، وتلقى بها العلوم، ثم رحل إلى إقليم توات مع قوافل الحجيج، وكانت محطته الأولى بمنطقة تسمى "أَقَبْلِي"، عند الشيخ أَبِي نَعَامَةَ المدفون بها، ثم انتقل إلى تمنطيط، واستقر أخيراً في قصر "اعْبَانِي" وتزوج هناك، وخَلَف ولداً هو سيدي إبراهيم الموجود ضريحه جنوب قصر اعباني ثم رحل إلى تمبكتو، وخلَّف ذرية هناك حيث وافته المنية بها (تمبكتو)[16].

خَلَّفَ شاعرنا عدداً كبيراً من القصائد بعضها فصيحة وأخرى شعبية (ملحونة)، ومن قصائده الشعبية قصيدة "العَسْلَه" أو المسماة أيضا بـ "كَنْزْ العَسْلَه"، التي طالعها [17]:

اللّي نَبْدَا بِهْ بَسْمَ الله أَوْلاَ الرَّحْمَنْ اللّيْ بْتَوْحِيدُو مَعْقُول

الرَّحِيمْ اللّي بْفَضْلُو يَتْوَلاَّ أَمْرِي فَالدَّارَيْنْ بَالسِّتْر المِسْبُولْ

وكذلك له قصيدة شعبية بعنوان "النونية"، وطالعها[8]

الحَمْدُ لله ابْدِيتْ اقْبَلْ ظْمِي فِيْ تَوْحِيدْ مُولاَيْ الرَّحْمنْ

وكذلك قصيدة بعنوان " قَالَتْ لِي نَفْسِي كْلاَمْ عْلِيهْ النُّورْ"[9].

أما قصائد الشاعر الفصيحة فهي كثيرة؛ ضاع الكثير منها، وسنشير إلى بعضها أثناء مقاربتنا لشعره، وأكتفي هنا فقط بالوقوف عند أهم وأشهر قصائده، والتي شاع حفظها بين الخاصة والعامة بأرض توات، ومنها تلك القصيدة الرسالة التي كتبها يُعاتب فيها ابنه سيدي ابراهيم، الذي ترك والده في توات وارتحل إلى بلاد شنقيط، وكان والده يأمل أن يَخْلُفه في زاويته بعد موته، للتعليم وتفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، فَرَقَّ قلب الابن وعاد إلى أرض توات وبالضبط إلى قصر "اعباني"، وخَلَفَ والده هناك حتى توفي ودُفن هناك كما أسلفنا الذكر. ومطلع تلك القصيدة:[20]

أيا ولدي يَلُومُك من يلُومُ وتَهجرك الخُصوص والعُمومُ

بتركك والدٍ ربَّاكَ طفلاً وتَرْكُ مَبَرَّةِ الآباءِ شُومُ

أتهجرني وأنت ربيع قلبي وإني بكم أيَا ولدي رحيمُ

أتترُكني ضعيفَ الجسم أعمى ولم تشغلك يا ولدي عُلُوم

أراك بالنَّعيم شُغلت عني نعيمُ الدهر ويْحَكَ لا يَدوم

فلا تَقْطَعْ زمانَكَ فِي عُقوقي فتُفسد ما تُصلِّي وما تَصوم

والظاهر أن الشيخ سيدي محمد إيداوعلي كان من أتباع الطريقة القادرية، التي كانت منتشرة سواء في توات أو في بلاد شنقيط[21][22].

ثالثاً: السَّيِّدْ مُحمَّد عبد القَادر بن مُحَمَّدْ بن المُختار بن أَحْمَد العَالَمْ الفُلاَّنِي:

ينتمي هذا العالم إلى منطقة من أهم المناطق التواتية؛ ألا وهي "تيديكلت"، وقد جمع بين تعليم العلم وتحفيظ القرآن، والنحو والشعر. أما عن ميلاده فيُحدِّثنا الشيخ بَايْ بَلْعَالَمْ قائلاً:«السيد محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد الفلاني، المولود بساهل أقبلي 1298 هـ، والمتوفى سنة 1372هـ »[23]؛ أي أنه عمَّر من السنين ما يَقرُبُ الأربعة والسبعين (74) عاماً. ولعله كان من أتباع الطريقة القادرية، وهي الطريقة التي كان آل فلان يتَّبعونها، ابتداءً من جدهم الأول وهو عثمان بن محمد فودي[24].

أما عن آثاره، فقد تضمن ديوانه المخطوط عدة قصائد بعضها في المديح النبوي، وأخرى تضمنت قضايا مختلفة. ومن القصائد المديحية يقول الشاعر:[25]

صَلُّوا عَلى بَدْرِ التَّمامْ محمدٍ خَيْرِ الأنام
وآله وصحبه لِتَنْجُو فِي يوم الزحام

وله قصيدة أخرى مطلعها:[26]

صلوا على محمدٍ أزكى الصلاة والسلامْ
وآلهِ وصحبهِ مَا صَلَّى مُسلمٌ وَصامْ

وله منظومة في التوحيد سماها:"تُحْفَةُ الوِلْدَانِ مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الأَعْيَانِ"، وهي مشهورة في القطر التواتي، وأذكر أننا كنا نرددها دائماً بعد قراءة حزب القرآن اليومي عَقِبَ صلاة المغرب، ومطلعها:

الحمد لله على ما أنْعَمَا حمداً كثيراً طيباً مُلازما
في كل وقتٍ أَمَدَ الأزمانِ ثمَّ صلاتُهُ على العَدنانِ

رابعاً : الشيخ السَّيِّدْ البَكْرِي بْن عَبد الرَّحْمَن:

هو مُحَمَّدْ البَكْرِي بْن عَبد الرَّحْمَن بْن الطَّيِّبْ بن أَحْمَدْ بن مُحَمَّد بن عُمَرْ بن مَعْرُوف بن سَيِّدِي يُوسُف. يقول عنه الشيخ باي بلعالم:«كان عالماً متضلعاً في الفقه واللغة والنحو وعلم العروض، وعلم المواريث، كان بحراً لا يُجارى، فهو من تنلان [27] أصلاً ومن زاوية الشيخ سيد البكري[28] مسكناً وداراً، يقال أنه إذا سُئل عن مسألة يقول للسائل: تريد الجواب نظماً أو نثراً، وكذلك إذا سُئل كتب وثيقة يقول للسائل تريد الوثيقة نظماً أو نثراً؛ لأنه كان بحراً فَيَّاضاً زاخراً »[29]، والظاهر أنّه كان منتمياً للطريقة القادرية في شعبتها البكرية. ولشاعرنا عدة مؤلفات،

وله ديوان شعر ما يزال مخطوطاً، وأغلب شعره في المديح النبوي والزهد، وله أشعار في التلغيز، وله قصيدة خالية من صورة الألف الذي هو أكثر الحروف دوراناً في الكلام يقول في مطلعها:[30]

محمد كَنْزُ كل كونٍ وعَيْنُهُ عليك سكوني يصلي بكثر

محمد ذو وصف عزيز تعزَّزت قريش به في كل وقت وجَلَّتِ

وله قصيدة خالية من الحروف المعجمة، وهي في مدح الرسول " مطلعها: [31]

مدحي علو محمد المعصوما هصى الملوم وحاسداً مسموما

وصحى له حلكى وحال سواده سعدا وسر سرورُه المهموما

لِمَ لا وأحمد سر كل محامد وسموه سام علاه عموما

ولشاعرنا قصيدة أخرى مدح فيها العلامة القطب مولاي سليمان بن علي[32] المعروف بـ" أُوشَّنْ" والملقب عند العلماء بالمنطقة بـ "سلْطَان تيمِّي"، يقول فيها:

سَيِّدي سليمان بن علي وفسيل ابن حرزهم في الطريقة[33]

فُقت مجداً وسؤدداً وكمالا وسلوكاً شريعة وحقيقه

قد حللت توات كالبدر يسري تهزم الظلمات منه الشريقة

وملكت أزمة العز والتصريف فيها مع الصفات الأنيقة

وبسطت يديك بالجود تُعطي كل ذي آمال ثياباً صفيقه

ومنحت الزوار كل مرامٍ دوحه سر بالغصون الوريقه

وهديت من الخلائق جمّاً للهدى بعد هونهم بسحيقه

مثل سيدي الأحسني فأضحى بالولاية ذكره في الخليقة

بعد أن كان في حضيض انقطاع فارتقى بعد في المراقي الشريقة

وعلى قبرك المعظم نور ظاهرٌ لذوي الفهوم الدقيقة

حرمة عظم الإله حماها ما لها في كثيرها من شقيقة

كل من لم يكن له أدب في حوزها فصم الإله وثيقه

سند المستغيث كن لي غيّاثاً في عويص الخطوب تضحى طليقه

أنت حامي الديار حاشاك ركني أن أكون من الجموع الغريقه

في حماك الضعيفُ مادح معناك البُكير[34] الفقير حالك فيقه

صانه الله من شياطين جِنٍّ مع إنسٍ بنيرات عتيقه

وللشاعر قصائد أخرى ورسائل لا يتسع المقام لذكرها، وربما تُفسح لنا في المستقبل فرصة أخرى للوقوف عندها.

خامساً : السَّيِّد الزَّرُّوق (أَحْمَدْ زَرُّوق):

هو أحد العلماء الشعراء في توات، يقول عنه عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التنلاني؛ صاحب كتاب " الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية": هو « الشاعر أحمد زروق بن أبي عبد الله سيدي محمد بن موسى الجَعْفَري، كان رحمه الله إماماً عالماً في الفقه وله شعر جيد، وكان صالحاً أديباً أخذ عن شيخه سَيِّدِي امْحَمَّدْ الوَنْقَالِي، وعن سيدي محمد بن احميد الزجلاوي وسافر لفاس وأخذ عن علمائها..أخذ عن التاودي وحضر مجلسه وخَتَمَ عليه البخاري خمسة عشر مرة »[35]، وذكر الكاتب أن شاعرنا توفي صبيحة الأربعاء عام خمسة وأربعين ومائتين وألف[36] (1245هـ)، وهذا التاريخ فيه كثير من اللُّبس، لأنه ذكر أنه أخذ عن الشيخ سيدي محمد الونقالي وعن سيدي محمد بن أحمد الزجلاوي اللذين يفصله عنهما حوالي قرنٍ من الزمن.

وينتمي الشاعر أحمد زروق إلى نفس العائلة التي ينتمي إليها الشاعر سيدي محمد بن المبروك البودوي وهي عائلة" الجعفري"، التي استوطنت زاوية سيدي حيدة بقصور منطقة بودة.

والظاهر أن شاعرنا أحمد زروق كان قاضياً، وربما دليل ذلك ما وجدناه في ورقة من أحد المخطوطات القديمة مجهولة المؤلف، ونصه:« الحمد لله وحده، شروح مسلم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، مما أفادنيه القاضي الأديب سيدي أحمد زروق البداوي شروح مسلم، المعلِّم للمازري، والمفهم للقرطبي، والإكمال لعيا »[37]، ثم ذكر أنه روى له قصة موت الحُجَّاج، ثم ذكر مؤلف الكتاب قصة أحمد زروق مع سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي إمام القراء، وذكر بعد ذلك نظماً لسيدي أحمد بن عبد العزيز لَمَّا سُئل عن البخاري ومسلم أيُّهما أفضل، فأجاب بقصيدة مطلعها:[38]

تنازع قوم في البخاري ومسلم لديَّ وقالوا أيذين نُقَدِّمُ

فقلت لقد فاق البخاري صِحَّةً كما فاق في الصناعة مُسْلِمُ

والقصيدة طويلة في المخطوط، ما زالت تحتاج إلى دراسة وتحقيقٍ.

هذا وما تزال مجموعة كبيرة من القصائد والدواوين الشعرية لعلماء توات، تنتظر الجمع والتحقيق والدراسة نذكر منها:

. قصائد في التوحيد لأبي علي سيد الحاج الحسن الشريف، والتي توجد نسخة مخطوطة منها بمكتبة كوسام.

. وأيضاً مجموعة قصائد بعنوان:"المخاطبة بالأشعار" للفقيه سيدي محمد بن الحبيب. وتوجد نسخة منها بمكتبة ملوكة، وفي المكتبة نفسها نجد مخطوط "الغنية البلبالية" للحاج عبد الرحمن الملوكي البلبالي، وهو مخطوط في القضاء

والفقه، نُسخ سنة 1244هـ بديء بقصيدة تحتوي على 84 بيتاً للشيخ يوسف بن عبد الحفيظ البلبالي؛ يرثي بها شيوخه الثلاثة يقول في مطلعها:

آنس نديمك بالصبابة وأنشد بعد المدام قريضك المتجود

إلى قوله:

فاعشوشبت وتناصرت وتناظرت حتى كأن الطير تأخذ باليد

إلى آخر تلك القصيدة التي جمعت بين جمال المبنى وجلال المعنى.

وأيضاً من العلماء التواتيين الذين ما تزال أشعارهم مخطوطة تحتاج إلى تحقيق نجد العلامة ابن ابَّ المزمري (1094هـ) مثل شرحه لمنظومة ابن المجراد والموسوم بـ: "نيل المراد من لامية ابن المجراد" وغيرها من القصائد الأخرى التي يضيق المقام بذكرها.

ومن أشعار علماء توات نجد أيضاً قصيدة الشاعر أبوزيد سيدي عبد الرحمن بن إدريس بن عمر التنلاني التي رثا بها العالمين عمر بن عبد الرحمن التنلاني والحاج عبد الله بن السيد عبد الرحمن بن عمر التنلاني، وهي في اثنين وثلاثين بيتاً؛ يقول في مطلعها:

ألا في سبيل الله فيما أصابنا من الهم والأحزان والضيق وانكر

لقد غمرتنا الحادثات ببؤسها وحلت بنا الرزايا من حيث لا ندري[39]

وكذلك قصائد الشيخ محمد عبدالكريم بن محمد البلبالي التي جمعها تلميذه الشيخ عبد العزيز سيدي اعمر.

وأيضاً الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، إضافة إلى ديوان العلامة حمزة بن الحاج أحمد بن السيد محمد بن مالك القبلوي الفلاني (1259هـ)، وكذا قصائد الشيخ عبد الرحمن السكوتي (1285هـ)، وديوان العلامة السيد الحاج محمد عبد القادر بلعالم القبلاوي (1298هـ) وغيرهم كثير من المتقديمين والمتأخرين.

لذلك نحن نقترح أن تُؤسَّس فرق بحث لجمع هذه الأعمال الشعرية وتحقيقها ودراستها وطباعتها؛ وإنقاذها من الضياع خاصة في ظل الأوضاع المزرية التي توجد عليها بعض الخزائن والمكتبات بتوات.

الهوامش:

1 / مخطوط قصائد الشاعر، مكتبة عائلة جعفري، زاوية سيدي حيدة، بودة ولاية أدرار، ورقة 01، نسخة منه في مكتبتنا.

2 / نفسه، ورقة 67.

3 / سرقمة عاشور، الشعر الشعبي الديني مع قراءة في شعر الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008، ص: 85.

4 / الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية "، عبد الرحمان بن باعومر التنلاني، مخطوط بمكتبة ابن الوليد الوليد قصر باعبد الله أدرار، ورقة: 13.

5/ المختصر هو مختصر العلامة الشيخ خليل.

6 / الدرة الفاخرة، م. س، ورقة: 14.

7 / أنظر ديوان الشاعر الفصيح مخطوط بين أيدينا، ورقة: 23.

8 / «توفي 1160هـ، وهو أبو عبد الله سيدي محمد بن ابَّ بن أحمد المزمَّري نسباً، التواتي مولداً ومسكناً له عدة تآليف ومن شعره قصيدة يمدح بها الولي الصالح مولاي عبد المالك الرقاني (ت 1207 هـ)، ويقول في مطلعها:الحمد لله مجيب السائل إذا دعا بأعظم الوسائل ». أنظر: مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بمكتبة سالي. وانظر أيضاً: أحمد جعفري، محمد بن ابَّ المزمري حياته وآثاره، دار الكتاب العربي، 2004، ص: 59 وما بعدها من الصفحات.

9 / نقلا عن السيد جعفري أباسيدي أحد أحفاد الشاعر 40 سنة، إمام.

10/ أحد سكان منطقة بودة وهو أحد الحفاظ 70 سنة.

11 / المخطوط نفسه ص: 3 .

12 / نفسه ص: 08.

13 / وجدنا هذه القصيدة في ورقة من مخطوط قديم بمكتبة ابن الوليد الوليد، وكاتبها كما هو مكتوب قبل بداية القصيدة هو الحسن بن محمد بوزيد عفا الله عنه، وقد كتب في آخر الورقة: « ألفت الأبيات عن قلق من مؤلفها غاية في الثامن عشر من ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين وألف، في سيدي محمد بن المبروك البودوي» ونلاحظ أن هذه القصيدة كتبت حوالي ثمانية سنوات بعد وفاة الشاعر، وهو ما يجعلنا نفتح مجال التحقيق مرة أخرى للنظر في تاريخ وفاة الشاعر.

14 / أنظر: سرقمة عاشور، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات . مع قراءة في شعر الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي، م. س، ص: 100 وما بعدها.

15 / عاصر سيدي محمد إيداوعلي الشيخ سيدي محمد بن المبروك البودوي، وروى لنا السيد إيداوعلي عبد الوهاب حادثة طريفة بين هذين العالمين، «حيث أنهما تعاهدا على أن من توفي منهما يغسله صاحبه ويصلي عليه، وذات مرة كان ابن المبروك في طريقه لرحلة يقصدها فمر بأعباني حيث يسكن صديقه، فقال والله لأتفقدنه وأزوره، فلما دخل بيته، وجد صاحبه قد توفي لتوه، فغسله وصلى عليه ثم واصل مسيره ». رواية عن الشاعر إيداوعلي عبد الوهاب في لقاء معه يوم 20/ 04 / 2004.

16 / رواية عن حفيد الشاعر إداوعلي عبد الوهاب، في لقاء معه بتاريخ: 25 / 04 / 2004

17 / كناش السيد إداوعلي عبد الوهاب ورقة: 72

18 / الكناش السابق، ورقة: 60.

19 / لم نستطع الحصول على بعض أبياتها من طرف صاحب الكناش سابق الذكر.

20 / نُتفٌ خطية بها قصائد الشاعر، نسخة منها في مكتبتنا.

21 / روى لنا ذلك حفيد الشاعر السيد إيداوعلي عبد الوهاب، وذكر لنا أنه اطلع على ذلك في بعض الوثائق التي تعرضت لحياة الشيخ، ولكننا لم نقف على تلك الوثائق. كان ذلك في لقاء معه يوم: 02/05/ 2006.

ولا يمكننا أن نُغفل تلك العلاقة التي كانت بين سيدي محمد إيداوعلي وسيدي محمد بن المبروك البودوي، وقد كان هذا الأخير قادرياً.

22/ نفسه.

23 / الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، مطبعة دار هومة، 2005، ص: 165.

24 / جد قبيلة فلان التي خرجت من وطنها الأول وهو السنغال وبدأت تتسرب شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى سهول السودان؛ وشمال إفريقيا، ولد سنة 1169هـ ، أولع بالعبادة والذكر ونشأ نشأة دينية خالصة، تلقى دروسه الأولى على يد أبيه محمد فودي وجدته رقية وأمه حواء، ومن مؤلفاته في التصوف كتاب "أصول الولاية" و "سلسلة القادرية" و " السلاسل الذهبية للسادات الصوفية"، وقد ألف ابنه بللوا كتاب "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور. أنظر: محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومة، د. ت، ص: 163 وما بعدها.

25 / مخطوط ديوان الشاعر، مكتبة الشيخ باي بلعالم؛ إمام أستاذ ومدرس بآولف ولاية أدرار.

26 / نفسه.

27 / قصر يقع جنوب مدينة أدرار حوالي 10 كلم.

28 / تقع شمال شرق مدينة أدرار حوالي 11 كلم.

29 / الرحلة العلية إلى منطقة توات، م. س، ص: 162.

30 / مخطوط ديوان الشاعر بمكتبة الشيخ باي بلعالم.

31 / مخطوط ديوان الشاعر بمكتبة الشيخ باي بلعالم.

32 / «هو أبو داود سليمان بن مولاي علي الشريف بن اعمر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن عيسى بن أبي القاسم بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبطي بن سيدنا علي بن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد حوالي سنة 549 هجرية الموافق لـ: 1154 ميلادية...كان من تلامذة الشيخ سيدي علي بن حرزهم دفين فاس» وقصة مجيئه إلى توات طريفةٌ جداً. أنظر: محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، م. س، ورقة: 23.

33 / نسخة من مخطوطة، موجودة بخزانة الوليد بن الوليد، با عبد الله، ولاية أدرار.

34 / البُكير: صغَّر الشاعر اسمه تواضعاً أمام الشيخ مولاي سليمان بن علي.

35 / مخطوط بمكتبة كوسام، بلدية تيمي ولاية أدرار، ورقة: 13

36 / نفسه.

37 / نسخة من المخطوط بمكتبتنا.

38 / كذا، والأصح: أيُّ ذين.

39 / الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، م. س، ص: 55.

مخطوط نوازل الشيخ باي بن عمر محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي (1282- 1345هـ/1865ـ1927م) عرض لمعالم النشاط العلمي و الديني في توات خلال القرن الثالث عشر هجري(التاسع عشر ميلادي)

د/شخوم سعدي
جامعة جيلالي اليابس-سيدي بلعباس-

اتجهت جل الدراسات الخاصة بالتاريخ العلمي لدول المغرب عامة والجزائر خاصة إلى التركيز على الفترات الوسطى أو الحديثة لرصد أهم معالم النشاط الثقافي لهذه المنطقة والظاهر أن هذه الدراسات شملت مناطق معينة دون لاعتبارات تاريخية وسياسية، لعل أهمها هو تركز الحواضر العلمية في مناطق معينة مثل تلمسان وبجاية خلال الفترة الوسيطة والمنطقة الراشدية خلال الفترة الحديثة، إلا أن هذه المتابعة تقل كلما توغلنا في الفترة الوسطى بسبب الهيمنة الاستعمارية الفرنسية وحربها المفتوحة على المظاهر الثقافية المحلية، التي لم تترك للباحثين مجالا لكي يقوموا بجمع أهم ما أنتجته الجزائر في هذه الفترة، إلا أن الملاحظ مع هذا هو قلة توجه الباحثين نحو ما كان يعرف ببلاد السودان الذي يشمل الجنوب الجزائري جزء هاما منه، وقد بين التراث المحلي الخاص بهذه الرقعة الكبيرة أنها قد عرفت نشاطا علميا لا يقل أهمية عما كان في بلاد المغرب، وإن كان الدارسون قد عرفوا بعضها من خلال آثار احمد باب التنبكتي (963 هـ – 1036 هـ) وما جاء في القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد الطيب بن بابا حيدة وغيرها من المؤلفات، وقد جاء في كتب أخرى بيان لمدى أهمية دراسة هذه الحركة العلمية ولعل كتاب المعسول للمختار السوسي يزيد في تأكيد هذا الأمر، من أن منطقة توات والبلاد السودان –كما اصطلح عليها جغرافيا خلال الفترة الوسطى– عرفت بروز عمل ثقافي يحتاج إلى كثير من جهود الباحثين دراسة وتحقيقا للآثار التي تزخر بها هذه المنطقة التي يمكن اعتبارها حاضرة علمية بارزة خاصة في الفترة الحديثة وحتى المعاصرة.

ومن أهم المخطوطات التي تمكن من رصد نوعية الحراك العلمي في منطقة، والتي يظهر من خلالها ذلك التشابه النوعي بين الشمال والجنوب في بلاد المغرب عامة والجزائر خاصة، نوازل باي بن عمر الكنتي التي تعد من أهم الآثار العلمية للمنطقة نظرا لاحتوائها على معلومات هامة في المجال الثقافي من حيث مصادر وخصائص رغم أنها ظلت تدور في فلك كتب النوال المعروفة عند أهل المغرب والأندلس، وسنحاول من خلال تعرضنا لهذا المخطوط التركيز على الجوانب الثقافية للمنطقة وعلاقاتها العلمية مع الحواضر المغربية في الشمال ومدى التأثيرات المتبادلة، ومميزاتها كما ونوعا. ولذلك سنتعرض لصاحب المخطوط تعريفا وترجمة لأهم محطات حياته، ثم نتعرض لمخطوط شكلا ومضمونا بدراسة مصطلحاته وأعلامه وأهم المسائل الدينية والثقافية التي أشار إليها صاحب التأليف.